جامعة مولاي إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس

شعبة الدراسات الإسلامية

مدخل إلى الفكر الإسلامي

الفوج:6

للدكتور: مصطفى البعزاوي

الموسم الجامعي: 2020/2019

مدخل

يعتبر الفكر الإسلامي الَّذي تعدَّدت استِعْمالاته لدى كثيرٍ من الباحثين العرب والمسلمين، وحتَّى المستشرقين **- مفهومًا هلاميًّا** لا يكاد يرْسو على تعْريف ناجز بيِّن المعالم؛ لذا فإنَّ مساءلة هذا المفهوم ومُحاولة الوقوف على حدِّه وموضوعه يستدْعي منَّا أوَّلاً الرّجوع إلى الاشتِقاقات اللغوية لمادَّة" فكر"، ثمَّ" الفكر الإسلامي "كمصطلح مركَّب

جاء عند ابن فارس: "فكَرَ؛ الفاء والكاف والراء: تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا رَدَّدَ قلبه معتبرًا، ورجل فِكِّيرٌ: كثير الفكر]"

وقد وردت مادة) **فكر** (**في القرآن الكريم في نحو عشْرين موضعًا**، ولكنَّها بصيغة الفعل، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر؛ قال تعالى :﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾]المدثر: 18]، وقال تعالى :﴿ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ ﴾]الأنعام: 50]، وقال تعالى :﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾]الأعراف: 176.[

أمَّا من **الناحية الاصطِلاحيَّة، فكما ورد عند ابن منظور**" :إعمال الخاطر في الشيء"، فقد ورد عند الرَّاغب الأصفهاني بأنَّه: "قوَّة مطرقة للعلم إلى معلوم، وجوَلان تلك القوَّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يمكن أن يُقال إلاَّ فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلْب]"

مَّا عند المتأخرين، فقد جاء في" المعجم الوسيط" "فكر "بمعنى: إعمال العقل في الشَّيء، وترتيب ما يعلم ليصل به إلى مجهول أو" :**إعمال العقل في المعْلوم للوصول إلى معرفة مجهول]"**

كما عرَّفه طه جابر العلواني بأنَّه: "اسم لعمليَّة تردّد القُوى العاقلة المفكّرة في الإنسان، سواء أكان قلبًا أو روحًا أو ذهنًا، بالنَّظر والتدبُّر لطلب المعاني المجْهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحْكام، أو النسب بين الأشياء

-2مفهوم الفكر الإسلامي

وكما تعدَّدت تعريفات الفكر لغةً واصطِلاحًا، فإنَّ الفِكْر الإسلامي هو الآخر عرف تعريفات عدَّة، نذكر من بينها:

الفكر الإسلامي يعني" :كلّ ما أنتجه فِكْر المسلمين منذ مبعث الرَّسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - إلى اليوم في المعارف الكونيَّة المتصلة بالله - سبحانه وتعالى - والعالم والإنسان، والَّذي يعبّر عن اجتهادات العقْل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامَّة في

إطار المبادئ الإسلاميَّة، عقيدة وشريعة وسلوكًا]"

الفكر الإسلامي يعني: **"كلّ ما ألَّفه علماء المسلمين في شتَّى العلوم الشَّرعيَّة وغير الشَّرعيَّة، بغضِّ النَّظر عن الحكم على مدى ارتِباط هذا النِّتاج الفكْري بأصل العقيدة الإسلاميَّة]"**

الفكر الإسلامي يعني" :نتاج الفكْر الَّذي تصدَّى للفلْسفات والنَّظريَّات الغربيَّة، ناقدًا لها وواضعًا البديل الإسلامي محلَّها

الفكر الإسلامي يعني" :كلّ نتاج للعقْل البشري الموافق لمنهج الإسلام]"

الفكر الإسلامي يعني" :كلّ ما هو غير تجريبي من مقوّمات الحضارة الإسلاميَّة]"

الفكر الإسلامي يعني" :الحكم على الواقع من وجهة نظر الإسلام

الفكر الإسلامي يعني" :المنهج الَّذي يفكِّر به المسلمون أو الَّذي ينبغي أن يفكِّروا به]"

بالنَّظر لهذه التَّعريفات وما سبقها من تعريفات للفكْر مجرَّدًا عن الوصف أو الإضافة، يلْحظ الآتي:

-1أنَّ الفكر إمَّا أن يراد به الكيفيَّة التي يدرك بها الإنسان حقائق الأمور التي أعمل فيها عقله، فيكون الفكر عندئذٍ بمثابة الأداة أو الآليَّة في عمليَّة التَّفكير، وما يلحق بها من طاقات وقوى وملكات عقليَّة ونفسيَّة.

وإمَّا أن يراد به ما نتج عن **ذلك من تصوُّرات وأحكام ورؤًى حول القضايا** المطروحة، ثمَّ تتَّسع دائرة مفهوم الفِكْر أو تضيق تبعًا لمنطلقات المحدّد لمفهوم الفكر، فإذا اتَّسع مفهوم الفكْر اشتمل على الموْروث الفكْري للإنسان في جَميع ميادين المعْرِفة والعلوم على الصَّعيد النَّظري، على أنَّ هناك مَن يدخل العلوم التَّجريبيَّة والتَّطبيقيَّة داخل مفهوم الفكر، فيشتمل على النَّشاط الإنساني بعامَّة بما يخرج مفهوم الفكْر عن الفكْر ليشْتمل على مفهوم الثَّقافة بل الحضارة أيضًا.

وقد تضيق دائرة مفهوم الفكر حتَّى تنحصِر في مجرَّد النَّظر العقلي في أمرٍ ما، فيكون الفكْر عندئذٍ منسوبًا إلى مبدأ، أو مذهب، أو طائفة، أو أمَّة، أو عصر، أودين.

-2عندما يضاف الفكر إلى الإسلام أو يوصف الفكر بأنَّه إسلامي، فإنَّ المفهوم يتأثَّر كذلك بالمنطلقات المشار إليها سابقًا، فإمَّا أن يراد به كيفية عمل العقل وما يلحق به من القوى المدْركة لدى الإنسان في ضوء الإسلام؛ ولذلك عرَّفه بعضهم بأنَّه: "المنهج الَّذي يفكِّر به المسلمون أو الَّذي ينبغي أن يفكِّروا به]"

وقد لاحظ صاحب هذا التَّعريف أنَّ هذا المعنى الكيْفي للفكر المتمثّل في حركة الذّهن

للانتقال من المعلوم إلى المجهول، ونحو ذلك من التعبيرات المختلفة التي تؤدّي المعنى نفسه - هو ما استخدمه الأقدمون مثل) :ابن سينا (و) الرازي (و) ابن خلدون(، ولخَّصها) الجرجاني (في تعريفاته بقوله" :الفكر ترْتيب أمور معلومة لتؤدِّي إلى مجهول."

وهذا التَّعريف يربط بين الفكْر والمنهج، ويلزم معه الإلمام بمدْلول المنهج في اللُّغة ثمَّ كمصطلح.

3- وإمَّا أن يراد بالفكْر الإسلامي ما أنْتجه الفكْر في ضوْء الإسلام، ثمَّ تَختلف المنطلقات والغايات حول تَحديد الفكْر الإسلامي، فبعضهم يُطلق مسمَّى الفكر الإسلامي ويُريد به كلَّ ما أنتجه فكْر علماء الأمَّة وباحثيها في ضوْء مبادئ الإسلام وأحْكامه وضوابطِه، ولا يدَّعي العصمة لهذا الفكر، ولا يدخل فيه الوحي) الكتاب والسنة(؛ وإنَّما يدخل فيه ما خرج عنهما أو انبثق منهما.

وبالجملة، فهو يفرِّق بين الإسلام وبين الفكر الإسلامي، ويَحترز من الخلط بيْنهما، ولكن يؤخذ على هذا التَّعريف أنَّه ربَّما أدخل بعض المذاهب المنحرفة أو التَّفسيرات الخاطئة لبعض عقائد الإسلام وشرائعه

وهناك بعض التَّعريفات التي تتَّفق مع هذا التَّعريف في السَّعة والشّمول لكلّ ما أنتجه الفِكْر المنسوب للإسلام، ويكفي فيه أن ينتسب أصحابُه للإسلام، وهذا التَّعريف لا يتقيَّد بما تقيد به التَّعريف السَّابق من كوْن الفِكْر لا يحسب على الإسلام إلاَّ إذا وافق عقيدة الإسْلام وشريعته وهدْيه، ولا شكَّ أنَّ هذا التَّعريف قريب من تعريفات بعض المسْتشْرقين الَّذين يدخلون في الفكر الإسلامي الفلسفات الدَّخيلة والعقائد الفاسدة، لكنَّه لم ينصَّ على الوحي الإلهي؛ بل يظهر منه استِثناء الوحي الإلهي من مسمَّى الفكر.

4- ***ينفرد بعض التَّعريفات بالنَّظر إلى نتاج العقل*** نظرة موضوعيَّة بغضّ النَّظر عن المفكّر، فما وافق الإسلام من تراث الفكر الإسلامي أو أنتجه فكر المسلمين في ضوء الإسلام، فإنَّه يسمَّى فكرًا إسلاميًّا.

وبعد، فإنَّه يمكن أن يعرف الفكر الإسلامي في ضوء الخصائص الآتية:

الجمع بين عمل الفِكْر كأداة) منهج(، وبين ما ينتجه الفكر من ثمرة للتَّفكير.

أن ينصبَّ الفكر الإسلامي على النَّاحية التنظيريَّة التَّصوُّريَّة دون العمليَّة السلوكيَّة.

أن يعرف الفكر الإسلامي بأنَّه فكرٌ موجَّه، أو بعبارة أنسب ملتزم بتعاليم الإسلام، فلا يتوافر الفِكْر في ظلِّ الإسلام على الخوضِ فيما نهى عنْه الشَّارع، ولا يتحرَّر من الضَّوابط الشَّرعيَّة والأخلاقيَّة، ولا يدخل فيما ثبت عن الله وعن رسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وإنَّما يدافع عن ذلك، ويظهر حكمة الشَّارع فيه، ويلتمس العلل والمقاصد والبراهين والمسوغات لذلك في الحدود المشْروعة بمنهج نقدي مؤصَّل، ينفي ما علق بالفِكْر الإسلامي من مغالاة المغالين وتفريط المفرِّطين.

لا ينطوي التَّعريف على منْع البحث في المعارف والعلوم التي تقوم عليها حياة الإنسان على الاكتشاف والابتكار وإعمال العقل فيما خلق له، وهذا ما حقَّقه الفكر الإسلامي، فقد أسهم بقسط وافر في تأصيل كثير من النظم والقوانين الحضارية التي أصبحت بمثابة الأسس للحضارة الحديثة.

لا يخلع التعريف المقترح على الفكر الإسلامي العصمة، ولا يُوهم بأنَّ الوحي جزءٌ منه، بل ينصبُّ على بذل الجهد واستِفْراغ الطَّاقة العقليَّة والنفسيَّة فيما أفْسحه الشَّارع الحكيم - جلَّ وعلا – وقد يطابق الصَّواب نتيجة التِزامه بالقواعد المنهجيَّة واتِّصافه بالنزاهة والموضوعيَّة، وقد يحتمل الخطأ، وفقًا لما أُثر عن علماء الأمَّة ومجْتهديها من قولهم: "قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب."

مصادر الفكر الإسلامي:

أوَّلاً: الوحي:

بناءً على ما جاء في مفْهوم الفكْر الإسلامي فإنَّه ينطلق من الإسلام كمرْجع موجَّه، يحكم بكلّيَّات الفكر وجزئيَّاته؛ لذلك فإنَّ الوحي بشقَّيه) الكتاب والسنَّة (يعتبر المصدرَ الرَّئيس للفكر الإسلامي؛ حيثُ يحدّد الرّؤية الكلّيَّة النّهائيَّة للإنسان المسلم، وما يتفرَّع عنها من أبعادٍ ترْبويَّة واجتِماعيَّة وسياسيَّة واقتِصاديَّة وغيرها، وقد أجاب الفِكْر الإسلامي في مختلف عصوره عن إشكالات عدَّة في المجالات المذْكورة، تمثَّلت في جملة العلوم التي ما فتِئَت تتبلْور وتتأصَّل بداية من القرْن الثَّاني للهجرة، كالفقه وعلوم الحديث وعلْم الكلام وغيرها من العلوم.

ثانيًا: الكون:

غير أنَّ الفكر الإسلامي لا يشمل الإنتاج الَّذي يتناول الإسلام كموْضوع للمعرفة فقط، بل هو كل إنتاج ينطلق من الإسلام كمرجعيَّة تحدّد له رؤيته الكلّيَّة للكون والإنسان والحياة؛ لذلك فالكون هو المصدر الثَّاني للفكر الإسلامي، وقد جاء القرآن الكريم يتحدَّث عن الكون في الكثير من آياتِه، بل إنَّ الآيات التي تحدَّث الله فيها عن الكون

أكبر وأكثر من آيات الأحكام.

والكون في الرّؤية الكونيَّة التَّوحيدية يشمل الكون الطبيعي) سنن الآفاق(، وذلك بمعرفة القوانين الكونية الطبيعيَّة في السموات والأرض والحيوان والنبات والإنسان لاستخراج آيات الله فيه، ومعرفة سننها التي تسيّرها وتسخيرها في إعمار الأرض لتحْقيق خلافة الإنسان.

والكون الإنساني سنن الأنفس، وذلك بدراسة قوانين المجتمعات الإنسانيَّة، وسنن قيام الحضارات وأفولِها، وتدخل فيها الخبرة الإنسانيَّة وما أنتجتْه في التَّاريخ والاجتِماعيَّات والإنسانيَّات بما يتوافق فيها مع الرُّؤية التَّوحيديَّة؛ يقول تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾]فصلت: 53.[

غير أنَّه ينبغي أن نُشير هنا إلى ضرورة التَّفريق بين ما يعتبر مصدرًا في الفِكْر الإسلامي، وما يعتبر رافدًا، فالكون الإنساني يعتبر مصدرًا للفكْر الإسلامي لمعرفة سنن الأنفس) الاجتِماعيَّة والنَّفسيَّة (بما هي قوانين وضعها الله تعالى في الأفراد والأمم والمجتمعات، أمَّا الخبرات الإنسانيَّة وما أنتجتْه من فكرٍ، بغضِّ النَّظر عن اختِلاف مِلَله ومذاهبه، فيعتبر رافدًا من روافد الفِكْر الإسلامي، يُؤخذ منه ويردّ بِما يخدم أهدافه، ويتوافَق مع الرُّؤية التَّوحيديَّة

وإذا أمعنَّا النَّظر في الفكْر الإسلامي برمَّته بما فيه من علوم إسلاميَّة وآراء فكريَّة وغيرها، فإنَّما نشأت من هذين المصدَرين: الوحي والكوْن.

وسائل المعرفة في الفكر الإسلامي:

إذا نظرْنا في الفكر الإسلامي فسنجد أنَّ المعرفة تنفتح على مجالَين واسعَين، هما عالم الغيب وعالم الشهادة، عكس الفكْر الغربي الَّذي يقتصر على الجانب المادّي من عالم الشهادة، وهو ما بيَّنه تعالى في قوله :﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾]الروم: 7[، وبالنَّظر إلى هذَين المجالين المتداخِلين يتوسَّل الفكر الإسلامي إلى المعرفة بثلاث وسائل تتساوى في الأهمّيَّة، وهي: العقل والقلْب والحواسّ.

العقل :اختلف العُلماء والمفكِّرون في تعْريف العقل؛ فمنهم مَن أنكر وجود شيء مستقلّ بهذا الاسم، وجعله هو والعِلم اسمين لمسمّى واحد]ندعوك للتسجيل في المنتدى أو التعريف بنفسك لمعاينة هذا الرابط[، ومنهم مَن جعله رديفَ القلب]ندعوك للتسجيل في المنتدى أو التعريف بنفسك لمعاينة هذا الرابط[، ومنهم من أسْهب في الحديث عنه بطريقةٍ تبيّن حدوده، وقسَّمه إلى أقسام عدَّة، وبيَّن وظيفة كلّ قسم]ندعوك للتسجيل في المنتدى أو التعريف بنفسك لمعاينة هذا الرابط[، غير أنَّنا إذا عُدنا إلى القرآن الكريم فلن نجد كلِمة" عقل "كمصدْر، وإنَّما جاءتْ في صيَغ فعليَّة

متعدِّدة، مثل" :تعقلون"، و" يعقلون"، و" عقلوه"، و" يعقلها"، و" نعقل"، وهو ما يدلُّ على أنَّ العقل ليس مصدرًا قائمًا بذاتِه، وإنَّما هو عمليَّة تعقُّل يقوم بها الإنسان؛ ليربط بين الدَّالّ والمدْلول، والأسباب والمسببات، والمقدمات والنتائج، وغيرها من العمليات الوظيفية في الأشياء المجرَّدة منها والمحسوسة للوصول إلى فكرٍ يسير به في حياته، ويسيّر به شؤونه.

فالعقل - إذًا - وسيلة أو آليَّة في إنتاج الفكْر عمومًا، وفي الفكر الإسلامي العقْل وسيلة للتدبُّر في الوحي لاستِخْلاص مقاصده وعلومه، والتَّأمّل في الكون لمعرفة قوانينه ونواميسه، فعمل العقل وفق هذا المنظور يكون في مجْمله في الأمور المجرَّدة.

القلب :لا يقصد بالقلب هنا ذلك العضو الحيّ الذي يقع في الجانب الأيسر من القفص الصَّدري، والَّذي يقوم بضخّ الدَّم في جسم الإنسان، وإنَّما هو تلك اللَّطيفة الربَّانيَّة - حسب تعبير الغزالي أبي حامد - التي يشْعر بها الإنسان، وهو محلّ التصديق والإيمان، وعلى اعتبار أنَّ الفكر الإسلامي ينفتح على عالم الغيب، بل إنَّ اعتبار الوحي والكون كمصدرين له ينبني على التَّصديق بالغيب والإيمان به، وهو توحيد الله باعتباره منزل الوحي وخالق الكون، وذلك لا يكون إلاَّ بالقلب محلّ التَّصديق والإيمان؛ لذا نجد المولى - عزَّ وجلَّ - يُسْبِق لفظ الغيب بالإيمان ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾]البقرة: 3[؛ فالقلب - إذًا - هو وسيلة من وسائل الإدراك والمعرفة في الفكر الإسلامي، وهو من الأهمّيَّة بمكان حيثُ لا يمكن استبداله بالعقْل ولا بغيره، فعمل القلْب وفقًا لهذا يكون في الأمور الوجدانيَّة.

الحواس :وهي جمع حاسة، وهي الوسائل التي ندرك بها الأمور المادّيَّة، كالأذن التي تقوم بوظيفة السَّمع، والعين التي تقوم بوظيفة البصَر، والأنف الَّذي يقوم بوظيفة الشَّمّ، وغيرها من الحواسّ التي نتواصل بها مع عالمِنا الخارجي.

وقد بيَّن المولى - عزَّ وجلَّ - هذه الوسائل في كتابه قائلاً :﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾]الإسراء: 36[، فالسَّمع والبصر) الحواسّ(، والفؤاد) القلب والعقل(، هي وسائل العلم والمعرفة.

خصائص الفكر الإسلامي:

يعتبر الفكر الإسلامي فكرًا إنسانيًّا يتَّسم بما يتَّسم به الفكر الإنساني من سمات وخصائص، إلاَّ أنَّ هذا يستند إلى مصادِر ربَّانيَّة، في حين أنَّ غيره يفتقر إلى هذه المصدريَّة، فما الَّذي يميّز الفكر الإسلامي بربَّانيَّة مصدريْة ولا يُفْقِده صفة الإنسانيَّة:

النّسبيَّة الإسلاميَّة :يعتبر الفكر الإنساني فكرًا نسبيًّا بصفة عامَّة؛ لأنَّه صادر عن الإنسان، وعلْم الإنسان نسبي مهْما كانت دقَّته، فالحقّ المطلق هو ما يختصّ به الله - تعالى -، أمَّا علوم الإنسان فهي حقائق نسبيَّة في تنوّعها وتعدُّدها، فالحقّ واحد مطلق

متجاوز للإنسان والتَّاريخ يختصّ به الله تعالى، والحقائق متعدِّدة متنوِّعة نسبيَّة، وهي تجلّيات للحقّ المطْلق، فهي نسبيَّة لأنَّها متلبِّسة بالتَّاريخ) الزَّمان والمكان (وناتجة عن وعْي الإنسان بها، فالنِّسبيَّة في الفكر الإسلامي تتَّصف هي الأخرى بالإسلاميَّة؛ لأنَّها ليستْ نسبيَّة مائعة سائلة تقوم على عقْل الإنسان وحْده، بل ترتكِز على المطلق، فهي تتَّخذ من الله تعالى المبدأ والغاية، وفي هذا المعنى يقول عبدالوهاب المسيري:

"ويُمكننا الحديث عن النسبيَّة الإسلاميَّة باعتبارها نسبيَّة تنصرِف إلى خطاب الخالِق، فنحن نؤمِن بأنَّ ثمَّة مطلقات نهائيَّة لا يمكن الجدال بشأْنِها، نؤمن بها بكلّ ما تحوي من عقْل وغيْب، منها ننطلق وإليْها نعود، أمَّا ما عدا ذلك فخاضعٌ للاجتِهاد والحوار]"ندعوك للتسجيل في المنتدى أو التعريف بنفسك لمعاينة هذا الرابط[، فالنّسبيَّة الإسلاميَّة تقوم على تداخُل المطلق النّهائي المتمثِّل في مصدرَي الفِكْر الإسلامي، واجتهاد الإنسان في فهم هذين المصدرَين والتَّعامل معهما.

ولقد ظلَّ الفِكْر الغربي فترةً طويلة من الزَّمن يعتقد في مطلقيَّة أحكام العقْل، خاصَّة العلوم التَّجريبيَّة، وأطلق عليها اسم العلوم الدقيقة، إلى أن ظهرت فكْرة النِّسْبيَّة، فقوّضت الفكْر الغربي لينتقل من القول بمطلقيَّة العقل إلى القول بالنسبيَّة في كلّ شيء، وهي ما يعبَّر عنها بالنسبيَّة السَّائلة، الَّتي لا ترتكِز على ثابت.

وقد كان وعْي المسلمين منذ نشأة الفكْر الإسلامي كبيرًا بنسبيَّة المعرفة الإنسانيَّة، حتَّى وهي تتناول الوَحْي المطْلق كموضوعٍ للمعْرفة تسْتقي منه علوم الدّين؛ لذا نَجد دأْب علماء الإسلام يَختمون كلامهم بقول" :والله أعلم"؛ دلالةً على أنَّ ما وصلوا إليه من نتائج إنَّما هو اجتِهادهم النِّسْبي، وليس بأيّ حال مطْلقًا، كما ورد عن الإمام مالك - وهو مَن هو في العلم - قوله: "كلّ يؤخذ من كلامِه ويُرَدّ إلاَّ صاحب هذه الرَّوضة (إشارة إلى النَّبيّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - الَّذي يعتبر قولُه وفعله وتقريره وحيًا)، فهو مطْلق إن صحَّ ثبوته، أمَّا اجتِهادات الإنسان في سائِر العلوم الإسلامية فهي تتَّصف بالنِّسْبية.

التحيُّز :وهو وجه آخر من نسبية الفكر الإنساني، ونعني بالتحيُّز هنا الذَّاتيَّة في الفكْر الإنساني؛ أي: إنَّ الفِكْر الإنساني لا يتَّصف بالموضوعية المطْلقة، بل ينحاز منتجه لا إلى شخصه وهواه، وإنَّما إلى خلفيَّاته الفكريَّة ومشاربه الثَّقافية ونوازعه الدينيَّة، وغيرها من الرَّوافد التي تجعل الفِكْر مشبعًا بتحيُّزات صاحبه؛ إذ ليس هناك حقيقة موضوعيَّة مطلقة، فما من موضوع إلاَّ وتتناوله ذات تصوغه وفق منظورها، كما لا تُوجد ذاتيَّة مطلقة، فالذَّات إنَّما تصوغ فكرَها وفق معْطيات موضوعيَّة صحَّت أو أخطأت.

فالتحيُّز ليس عيبًا في الفكْر الإنساني بل أحد سِماته وخصائصه؛ لذا فالفِكر الإسلامي هو الآخر يتميَّز بهذه الخاصّيَّة، وتظهر من خلال اسمه، فلفظ الإسلامي يبين تحيُّزه لدين معيَّن هو الإسلام، وبالتَّالي لمرجعيَّة معيَّنة ورؤية محدَّدة هي الرّؤية التَّوحيديَّة.

بل إنَّنا في الفكْر الإسلامي ذاته سنجد تحيُّزات عدَّة فقهيَّة عقديَّة سلوكيَّة، كالتحيُّز لمذهب فقهي أو عقدي أو سلوكي، فالجزائر مثلاً تدين بالفقه المالكي، وبالتَّالي خياراتهم الفقهيَّة والتَّعبُّدية متحيّزة للمذهب المالكي.

غير أنَّ التَّحيُّز قد يتحوَّل إلى عيْب في الفكر في حالتَين اثنتين:

-1إذا جاوز التحيُّز حدَّ الحقيقة، فيصبح بذلك تعصُّبًا، فذواتنا بكلّ مكوّناتها الفكريَّة والثَّقافيَّة والنفسيَّة ليستْ مطْلقة؛ بل نسبيَّة، ومقصد الإنسان في حياته إنَّما هو الكدح نحو الحقّ لبلوغه أو الاقتِراب منه، وحين يصبح النّسبي مطلقًا والمطْلق نسبيًّا، يكون التَّحيُّز قد جاوز حدَّ الحقيقة.

فالفِكْر الإسلامي يعترِف بتعدُّد الحقيقة في شتَّى أبعادها، والَّتي هي تجلّيات للحقّ المطْلق، فالفقه الإسلامي عرف مذاهب متعدِّدة، وكذلك الفكر العقدي، وعلوم القرآن والسنَّة، لكن لم يَخرج بهم اختلافهم عن الملَّة لأنَّهم لم يخرجوا عن حدِّ الحقيقة؛ بل إيَّاها كانوا يقصدون.

غير أنَّ التَّاريخ شهد مواقف كثيرة حادتْ بالتحيُّز عن الحقيقة إلى التعصُّب للرَّأي أو الهوى.

-2الاختِراق والتبعيَّة: والوجه الثَّاني من سلبيَّة التَّحيُّز حين تصاب الذَّات بانهزاميَّة أمام آخر، فتقع في تبعيَّة استلابية لفكرِه بكلّ تحيُّزاته، وهو ما عبَّر عنه ابن خلدون قائلاً" :إنَّ المغلوب مولَع بتقْليد الغالِب"، وهو ما أصيبتْ به الحضارة الإسلاميَّة في عصورها المتأخِّرة حينما استفاقت على هوَّة شاسِعة بينها وبين الغرْب، فأضحى بعض علمائها يدعو إلى تقليده في الفكر والسلوك للحاق بركبه، حتَّى أصبح هو معْيار التقدُّم والنموذج الحضاري المرجوّ.

وفي مقابل التبعيَّة الناتجة عن الانهزاميَّة الحضارية للذَّات، يوجد سلبيَّة أُخرى للتحيّز، هي اختراق الهويَّات الأخرى والنَّاجمة عن الاستِعْلاء والاستكبار والنزعة التوسُّعيَّة الاحتِلاليَّة، وهو ما تُمارسه الحضارة الغربيَّة على الشعوب المستضْعفة من هيمنة فكريَّة ومادّيَّة، حيث بهرت العالم بفِكرة التقدُّم كمفهوم مركزي في نهضتِها، وكقانون عامّ لا يمكن لِمن أراد الوصول إلى ما وصلتْ إليه إلاَّ نَهجه، وهو ما يستلزم تفوُّق الغرب وتقدُّمه وإطلاقه، بل ومعياريَّة نموذجه الحضاري والمعرفي المادّي، حيث يصبح الغرب نموذجًا قياسيًّا للبشريَّة جمعاء من خلال هيمنة خبرته الحضاريَّة وتعميم نظريَّاته ومفاهيمه في مختلف العلوم؛ ممَّا يؤدِّي إلى إنكار التَّجارب الإنسانيَّة والحضارية الأخرى، وإسْقاط المثل والقيم والغايات ونفيها خارج إطار العلم والتاريخ

لقد تمخَّضتْ هذه الرؤية عن تصوّر لواقع الإنسان المسلم المتخلّف، والذي لا يمكن أن ينقذه من تخلفه هذا إلاَّ اقتفاء أثر الغرب في الأخذ بالعلم والعقلانية، وتجسَّدت هذه النَّظرة في كتابات العديد من الأُدباء والمفكِّرين والعلماء مثل كتابَي الطهْطاوي

"تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، و" مباهج الألباب المصريَّة في مناهج الآداب العصريَّة"، وكتاب" أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك "لخير الدين التونسي، ثمَّ جاءت بعدهما مؤلَّفات عدَّة، مثل" :التَّفسير العلمي للقرآن الكريم "لطنطاوي جوهري، والَّذي حاول فيه تتبُّع منهج التَّفسير العلمي لكلّ آيات القرآن، وكذلك طه حسين في كتابه عن" الشِّعر الجاهلي"، والذي حاول تتبُّعه بالمنهج الجينالوجي.

مجالات الفكر الإسلامي

ينطوي مفهوم الفكر على شيء من الغموض؛ لأنه استعمل في معانٍ متنوعة بل ومختلفة تراكمت بمرور الزمن حتى أصبح إطلاقه دون تحديد موقعًا في اللبس. وكذلك مسمى الفكر الإسلام ولا سيما أن هناك استعمالات عدة لمسمى الفكر الإسلامي منها ما وسع دائرة الفكر الإسلامي حتى أدخلت فيه الفلسفات الغريبة عن الإسلام والتيارات المنحرفة عن صراطه المستقيم؛ لأن تلك الفلسفات والتيارات ذات:

أصول هندية ومجوسية وثقافات يهودية ونصرانية

ثم يحسب ذلك على الفكر الإسلامي . ولا يخفى ما تهدف إليه مثل هذه الاستعمالات للفكر الإسلامي من إيحاءات بأن الإسلام وفكره ملفق من تلك الأصول الفلسفية والثقافية الأجنبية، وأنه ثمرة طبيعية للتراث اليهودي دون أدنى احترام للمنهج العلمي في النظر والبحث والمقارنة؛ لذلك، ولكون الفكر بعامة والفكر الإسلامي بخاصة له أصالته, وله وجوده في المصادر العربية الإسلامية– فإنه ينبغي تأصيل هذا اللفظ في اللغة والاصطلاح وتجليته كمفهوم وصولا إلى تحديده كمصطلح في العصر الراهن.

إذا كان من المقرَّر أن التفكير عمليةٌ ترتبط بوجود الإنسان وامتلاكه لقدراته واستخدامه لها، وأن الفرق في ناتج هذه العملية هو في الكَمِّ لا في النوع – مع التجوز في استخدام لفظتَي الكم والنوع هنا – وأن لكل فكرٍ مبادئه ووسائله وغاياته

ولذا فنحن نَعني بالفكر الإسلامي ما أنتجه وما ينتجه العقلُ المسلم من خلال تعامله مع النصوص الإسلامية وَفْقَ منهج علمي؛ ذلك أن بحوث علماء المسلمين في أية قضية إنما تجمع بين اجتهادهم كمطلب للبحث لا بد فيه من إعمال العقل، ونصوص

من الكتاب والسُّنة يستندون إليها نقطة انطلاق ومرجع تحكيم، كل ذلك في ضوء ربط نتائج البحوث بحياة الناس في إطار مقاصد الشريعة الإسلامية.

فهناك موضوع للفكر هو المشكلات المتعلقة بالدِّين والفكر والحياة، وهناك منهج عقلي لتناوله، وهناك إلى جانبِهما مرجعية معينة أو أصول مرعيَّة في ضمير المجتمع وثقافته، وهذا حال كل فكر اجتماعي فيما أزعم، والفرق إنما يتمثَّل في نسبة الالتزام بهذه المرجعية، ومراعاة هذه الأصول الفكرية، والاستهداء بتلك المبادئ المشتركة في التماس الحلول، فقد يتفاوت ذلك كله من حالة إلى أخرى.

وللفكر الإسلامي دون مراءٍ وضعية خاصة في هذا الصدد، ومن حيث قوة الالتزام – ولو في زعم المؤلِّف وحسب تأويله الخاص – بأصول الشريعة المتضمَّنة في القرآن الكريم والسُّنة الصحيحة، والراسخة في ضمير الأمة باعتبارها مصدرَ الشرعية العليا، والتي تتيح للفكر الذي يظهر بين المسلمين أن يوصف بأنه (فكر إسلامي.

ووَفْقَ هذا الفهم لمعنى الفكر الإسلامي عرَفت الحضارة الإنسانية علومًا إسلامية دار بعضها حول النص القرآني؛ أمثال علوم اللغة والتفسير ونحوها، كما كان بعضها بيانًا لِما جاء في المصادر الإسلامية (الكتاب والسنة) من عقائد، وسنن اجتماعية، وضوابط تفكير، فكانت علوم العقيدة، ومناهج البحث، وعلوم أصول الحديث والرجال ونحوها، كما كان بعضها استجابةً لدعوة الإسلام إلى إعمال العقل، والتأمُّل في الكون؛ مثل الكيمياء، والفلك، والرياضيات، ونحوها، وهكذا كان المفكر المسلم مستجيبًا لضوابط عقيدته، وحاجات الحياة حوله.

والحق أن الأمر بالنسبة للفكر والمفكر المسلم، يختلف عنه في كل حضارة أخرى أو فهم آخر؛ لأن الفكر مِن أول الأمر – وهذا ما يجب أن نؤكِّده دائمًا – قد ارتبط بأصول الإسلام، وهي واضحة بأدلَّتها، بالإضافة إلى أن منهج الإسلام – سواء في مجال علوم الدين، أو في مجال العلم والفلسفة بوجه عامٍّ – منهج عقلي، ولم تكن المشكلةُ في الإسلام هي مشكلةَ التوفيق بين الدين والعقل، بل فهم الدين بالعقل

ووَفْقَ هذا الفهم ينبغي أن نُدرك الفرق بين قدسيَّة المرجع في الفكر الإسلامي، وعملية التفكير ذاتها بما تنتجه من علوم ومعارف؛ إذ يجوز على التفكير باعتباره جهدًا بشريًّا أن يخطئ وأن يصيب، وفي الإسلام لكلٍّ مقدارٌ من الأجر، لكن مرجعية هذا الفكر مَصُونة مقدَّسة؛ لأنها إذا كانت قرآنًا فهو من لدن حكيم خبير، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾]النساء: 82]، وإذا كانت سُنةً صحيحة فهي مرعية بالوحي من الله سبحانه، ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾

من أعلام الفكر الاسلامي

يعدّ مالك بن نبي واحداً من أعلام الفكر الإسلامي الذين حجب فكرهم عن الناس عدم اهتمام الدارسين بهم، فقد أمضى أكثر من ثلاثين عاماً متأملاً يحلّل ويضع شروط النهضة للمجتمع الإسلامي.

ولد مالك بن نبي عام 1905 في قسنطينة في شرق الجزائر وكانت مراحل دراسته الابتدائية والثانوية بين مدينتي (تِبسّة) و (قسنطينة).

سافر عام 1925 إلى مرسيليا وليون وباريس بحثاً عن عمل ولكن دون جدوى، فعاد إلى الجزائر حيث عمل في تِبسَّة مساعد كاتب في المحكمة. وأتاح له عمله هذا الاحتكاك بمختلف شرائح المجتمع أيام الاستعمار مما ساعد على تفسير ظواهر مختلفة فيما بعد.

وفي عام 1928 تعرّف مالك بن نبي على الشيخ عبد الحميد بن باديس (1887-1940م)، وعرف قيمته الإصلاحية. ثم سافر مرّة ثانية إلى فرنسا عام 1930، حيث سعى للدخول إلى معهد الدراسات الشرقية، ولكنه لم ينجح في الدخول، وسُمح له بدخول معهد اللاسلكي وتخرّج فيها مهندساً كهربائياً، بقي في باريس من عام 1939 إلى 1956، ثم ذهب إلى القاهرة للمشاركة في الثورة الجزائرية من هناك، انتقل إلى الجزائر عام 1963– بعد الاستقلال– حيث عيّن مديراً للتعليم العالي

ولكنه استقال من منصبه عام 1967 وانقطع للعمل الفكري وتنظيم ندوات فكرية كان يحضرها الطلبة من مختلف المشارب كانت النواة لملتقى الفكر الإسلامي الذي يُعقد كل عام في الجزائر، وظل مالك بن نبي يُنير الطريق أمام العالم الإسلامي بفكره إلى أن توفى في 31 أكتوبر عام 1973.

أما آثاره الفكرية، فيمكن القول أنه لم يكف عن التأليف منذ سنة 1946 حيث ألَّف أول كتاب له وهو (الظاهرة القرآنية)، وتلاه برواية (لبَّيك) 1947 وهي رواية فلسفية، ثم (شروط النهضة) 1948 ؛ (وجهة العالم الإسلامي) ؛ (الفكرة الأفروآسيوية) 1956 ؛ (مشكلة الثقافة) 1959 ؛ (الصراع الفكري في البلاد المستعمرة) 1960 وهو أول كتاب كتبه مالك بن نبي بالعربية مباشرة بخلاف معظم كتبه التي ألّفها بالفرنسية.

وفي عام 1960 كتب أيضاً كتابه (فكرة كومنولث إسلامي) ؛ (ميلاد مجتمع) 1962 ؛ (إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي) 1969؛ (مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي) ؛ (مذكرات شاهد القرن) 1970؛ (المسلم في عالم الاقتصاد)، ونشر له بعد وفاته كتب (دور المسلم ورسالته في القرن العشرين) 1977؛ (بين الرشاد والتيه) 1978، ولمالك بن نبي آثار فكرية لم تطبع وهي في صورة مخطوطات مثل: (دولة مجتمع إسلامي)؛ (العلاقات الاجتماعية وأثر الدين فيها)؛ (مجالس تفكير) وغيرها.

مشكلات الحضارة

اتجه مالك بن نبي نحو تحليل الأحداث التي كانت تحيط به وقد أعطته ثقافته المنهجية قدرة على إبراز مشكلة العالم النامي باعتباره قضية حضارة أولاً وقبل كل شيء، يقول (إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم

مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى مستوى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمّق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها) (1).

لأن بناء الحضارة لا يتم عن طريق الصدفة، **بل يتطلّب** نظرة منهجية تعتمد على التحليل ومعرفة عوامل البناء. ولم يكن اهتمام ابن نبي بالحضارة من قبيل اهتمام الانثروبولوجي الذي يمثّل لديه كل شكل من التنظيم للحياة البشرية نوعاً معيناً من الحضارة، فالمسألة لا تعني عنده محاولة لاكتشاف حقائق جديدة تتعلّق بعلم الإنسان، ولكنها تعني لديه تحديد الطرق المؤدية إلى الهدف المنشود وهو تحريك العالم الإسلامي المعاصر، حتى يتخلّص من رواسبه ومعوقاته وينطلق بإرادة وفاعلية نحو استعادة مكانته في التاريخ والحياة وفق شروط معيّنة.

فالمشكلات التي تواجه العالم الإسلامي متعدّدة، وذلك يتطلّب أن نقوم بترتيبها منطقياً، حتى نعطي لكل نوع قيمته الحقيقية، دون أن نقع في شراك الشيء السهل أو شراك الشيء المستحيل مدركين بأن للحضارة قانونها الذي لا يجامل أحداً، وبذلك يستطيع العالم الإسلامي أن يشقّ طريقه نحو دورة حضارية جديدة.

ولقد استطاع مالك بن نبي أن يحدّد المشكلات الأساسية التي تواجه العالم الإسلامي في الآتي:

- مشكلة الإنسان
- مشكلة التراب
- مشكلة الوقت (الزمن)

ولا ريب أن مشكلة الإنسان تأتي في المقام الأول، إذ أنه هو الذي يوجّه الأشياء ويبني الحضارة، ولكن الإنسان الذي يستطيع أن يصنع الحضارة هو الكائن الاجتماعي الفعّال الذي يتحرك ويسعى، والمقصود بالتراب هو المعطيات المادية التي يجب أن تستغل جيداً لصالح المجتمع، أما الوقت فهو الزمن الذي يتم تكييفه بحيث

يصبح زمناً اجتماعياً.

إن مشكلات الإنسان والتراب والوقت هي المشكلات الأساسية التي تواجه كل مجتمع متخلّف، فإذا أراد أن يبني نفسه ويخرج من دائرة التخلّف فعليه أن يُولي اهتمامه لهذه المشكلات وأن لا يضيع جهوده بالاهتمام

بالمشكلات الجزئية.

يقول مالك بن نبي ما نصّه: إن أول ما يجب علينا أن

نفكّر فيه حينما نريد أن نبني حضارة أن نفكّر في عناصرها تفكير الكيماوي في عناصر الماء إذا ما أراد تكوينه، **فهو يحلّل الماء تحليلاً علمياً ويجد أنه يتكوّن** من عنصرين عنصر الهيدروجين وعنصر الأكسجين ثم إنه بعد ذلك يدرس القانون الذي يتركّب منه هذان العنصران ليعطيانا الماء، وهذا بناء وليس تكديساً، ذلك لأنه لو كدّس ملايين من الأطنان من الهيدروجين والأوكسجين ثم بقي ينتظر أن يتكوّن الماء فإنه لا يتكوّن وحده إلاّ بأن يبعث الله إليه شرارة من عنده.

فحينما نحلّل منتجات الحضارة ولنأخذ أياً منها ولتكن هذه الورقة فإننا نجدها تتكوّن من عناصر ثلاثة:

الإنسان: لأنه هو الذي ولدها بفكره وصنعها بيده من بغداد في العصر العباسي حيث اخترع الفكر الإنساني الورق.

فالعنصر الأول إذن الإنسان.

أما العنصر الثاني: فهو التراب إذ من التراب كل شيء على الأرض وفي باطنها، ومعنى التراب هنا ليس المتبادر إلى الذهن فقد تعمّدت ألاَّ استخدم كلمة مادة.

لأن التراب يتّصل به الإنسان بصورتين: صورة الملكية أي من حيث تشريع الملكية في المجتمع الذي يحقق للفرد الضمانات الاجتماعية، فالتراب هنا شيء حيوي في المجتمع من حيث التشريع. وهو يتّصل به بصورة أخرى من ناحية علم التراب والمعلومات التي

تتصل به كالكيمياء وغيرها فالتراب نعني به هذين الجانبين: جانب التشريع وجانب السيطرة الفنية والاستخدام الفني.

فالتراب بهذا المعنى يدخل في عناصر هذه الورقة.

وأما العنصر الثالث، فهو الزمن لأنه إذا صحّ ما أقول فلماذا لم يخترع الفكر الإنساني الورق قبل هذا التاريخ؟ إن الجواب على ذلك هو نقص تجاربه في هذا المضمار، في مضمار علم التراب والنباتات فالزمن قبل ذلك التاريخ لم يكف لتخمّر فكرة ابتكار الورق، إذن يجب أن نجهز عناصر ثلاثة حتى يتكوّن منها الورق.

الإنسان – التراب – الوقت، وهذا التحليل يوجب عليّ أن أقول:(منتج حضارة (وهنا ورقة) = إنسان + تراب + وقت) (2).

ومقياس الحضارة عند ابن نبي أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها وليس العكس.

إذن ماذا نأخذ من الحضارة الغربية وماذا نترك ؟ يجيب مالك بن نبي فيقول: (إننا لا نستطيع أن نعيش منعزلين عن العالم، فحينما نقول إنه ينبغي أن نوجّه بحوثنا إلى هذه العناصر الثلاثة (إنسان وتراب ووقت) التي بها تبنى الحضارة فإن هذا لا يعني أن نترك ما انتهى إليه الآخرون لنبدأ الطريق من أوله، إن علينا أن نأخذ من الحضارة الغربية الأدوات التي تلزم في بناء حضارتنا، فإذا لم نكن نستطيع صنع الآلات مثلاً فعلينا أن نستورد هذه الآلات من الخارج حتى يأتي يوم نستطيع فيه الاستغناء عنها بمنتجاتنا.

على أنه إذا كان من العبث أن أركب الجمل في العصر الذي انتشرت فيه السيارات، فإنه من العبث الأكبر والتبذير للأموال أن أقتني أفخر السيارات وأعظمها لأنه لا حاجة بي إلى هذا النوع من السيارات طالما استطيع الاكتفاء بأقل منها درجة، فنحن في مرحلة البناء ينبغي لنا أن نقتصد في إمكاناتنا حتى نستخلص منها أقصى ما نستطيع من فائدة) (6).

وعن الثقافة يرى مالك بن نبي أن

الأفكار الغربية الليبرالية أو الماركسية هي انعكاس لواقع معين سواء أكان هذا الواقع حضارياً أو أيديولوجياً، وهذه الأفكار غير مجدية لواقعنا العربي الإسلامي، وليس ذلك لخطأ هذه الأفكار بالنسبة لمجتمعاتها، ولكن ذلك لعدم اتّساقها مع أبعاد هذا الواقع العربي الإسلامي، ويحاول أن يضع تعريفاً شاملاً للثقافة يتّسق مع واقعنا العربي الإسلامي فيقول عن الثقافة: (مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه فهي المحيط الذي يشكّل فيه الفرد طباعه وشخصيته) (7).

والثقافة عنده ليست مجرّد علم يتعلّمه الإنسان في المدارس أو من الكتب بل هي جوّ من العادات والأذواق والقيم التي تؤثر في تكوين الشخصية وتحدّد دوافع الفرد وانفعالاته وصلاته بالناس والأشياء، ويرى أن الثقافة كنظرية للتغيير وإعادة البناء لابدّ وأن تُصاغ صياغة تربوية تعتمد على العناصر الآتية:

أولاً: التوجيه الأخلاقي: فهو يرى أن فعالية المجتمعات تزيد أو تنقص بمقدار ما يزيد فيها من تأثير الأخلاق أو نقصانها وما يعنيه هذا من التأكيد على مفاهيم الإخاء والتعاون ومبدأ الجميع للفرد والفرد للجميع وربط العلم بالأخلاق حيث يهتم بالأخلاق من الناحية الاجتماعية.

ثانياً: التوجيه الجمالي: فالقبح يعبر أساساً عن تخلّف الثقافة، وعندما نشاهد خرقاً في كساء أحد المتسوّلين يجب أن نشعر بوجود خرق في ثقافتنا، والإحساس صورة نفسية للجمال والمضمون الجمالي في كرامة الفرد يؤثر على فعالية المجتمع والجمال هو الإطار الذي تتكوّن فيه أية حضارة. وإن كان لم يتطرّق لمعنى الجمال من الناحية التطبيقية.

ثالثاً: المنطق العلمي: ويقصد به العقل التطبيقي الذي يجسّد الفعالية في النشاط سواء على صعيد الفكر أو العمل، ويرى أن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة بل منطق العمل والحركة فهو لا يفكّر ليعمل بل ليقول كلاماً مجرداً.

رابعاً: التوجيه الفني أو الصناعة: وهو يقصد بالصناعة كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم، أو أن التغيير والبناء الاجتماعي في جوانبه العلمية والصناعية متوقّف على المناخات والأسس الثقافية التي تفرز الروح العلمية المنشودة.

بهذه العناصر الأربعة تستكمل الثقافة بناءها في المجتمع وترتقي حينئذ إلى مستوى الحضارة. ويرى مالك بن نبي أنه (ليس بنافع لنا أن نفكّر في الأسباب التي تدخلنا إلى باب الحضارة من غير أن نواجه أولاً وقبل كل شيء الوسائل التي تجعلنا نخرج من باب التخلّف).

.

".